السَّنة الخامسة عشرة وست مئة

[وفيها أعيد خالي أبو محمد يوسف إلى الحسبة](١).

وفيها أفرج الخليفة عن ولده أبي نَصْر محمد، وأَذِنَ له في الركوب حيث شاء.

وفيها نزلتِ الفرنج على دِمْياط في ربيع الأول، وكان العادل بمرج الصُّفَّر، فبعث بالعساكر التي كانت عنده إلى مِصْر إلى الكامل، وأقام المعظَّم بالسَّاحل بعسكر الشَّام في مقابلة الفرنج.

وفيها استدعى العادل ولده المعظم عيسى، وقال له: قد بنيتَ هذا الطور، وهو يكون سبباً لخراب الشَّام، وقد سَلَّم الله مَنْ كان فيه من أبطال المسلمين وسلاح الدنيا والذخائر، وأرى من المصلحة خرابه ليتوفَّر مَنْ فيه من المسلمين والعُدَد على حِفْظ دمياط، وأنا أعوِّضُك. فتوقَّف المعظم، وبقي أياماً لا يدخل إلى العادل، فبعث إليه فأرضاه بمالٍ، ووعده في مِصْر ببلادٍ، فأجاب، وبعث فنقل ما كان فيه من العُدَد والذَّخائر إلى القُدْس وعَجْلون والكَرَك ودمشق.

وفي يوم الجمعة ثاني عشر ربيع الآخر كسر الملكُ الأشرفُ ملكَ الرُّوم كيكاووس وسببه أَنَّ الأشرف جمع عساكر الشَّرْق وعسكر حلب، ودخل بلدَ الفرنج لِيَشْغَلَهُمْ عن دمياط، ونزل على صافيتا وحِصْن الأكراد، وكان العادل بمرج صُفَّر، وتقدم إلى عالقين، فخرج ملكُ الرُّوم، ووصل إلى رَعْبان يريد أن يُلِمَّ بحلب، ونزل [إليه الأفضل من سميساط، وأخذوا رَعْبان وتل باشر وبلغ الأشرف،](١) فعاد من صافيتا إلى حلب، وقد سَبَقَه ملكُ الرُّوم إلى مَنْبج، وتقدَّم بعضُ عسكرهم إلى بزاغة، [فرحل](١) الأشرف [فنزل](٢) بظاهر حلب، فقدَّم بين يديه المبارِزَيْن: ابن خُطْلخ وسُنْقُر الحلبي، وجماعةً معروفين، ورحل بعدهم فنزل باب بزاغة، وقدَّم العرب بين يديه، وجاء عسكر الرُّوم إلى السَّاجور، ووقع اليَزَك على اليزك، والعرب بين أيديهم، فكسروا الرُّوم، ورجع صاحبُ الروم إلى بلاده، والأفضل إلى سُمَيْساط، وأكثر ما أنكى فيهم العرب. واستردَّ

(١) ما بين حاصرتين من «المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٩٨.

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

الأشرفُ رَعْبان وتل باشر، وأعطاهما لطُغْريل أتابَك، وبعث الأشرف سيف الدين بن كهدان والمبارز بن خُطْلخ إلى دمياط نجدةً للكامل.

وخطب الصَّالح محمود بن أُرْتُق صاحبُ آمِد للرُّومي، وقَطَعَ خُطْبة العادل.

وفي آخر جمادى الأُولى أخذ الفرنج بُرْج السِّلْسلة، وأرسل الكامل شيخَ الشيوخ صدر الدين إلى العادل يخبره، ويستصرخ به، فلما اجتمع بالعادل وأخبره، دَقَّ بيده على صَدْره، ومَرِضَ مَرَضَ الموت.

وفي جُمادى الآخرة التقى المُعَظَّم بالفرنج على القيمون فَنُصِرَ عليهم، وقَتَلَ منهم مقتلةً عظيمة، وأَسَرَ من الدَّاوية مئة فارس، وأدخلهم القدس منكَّسةً أعلامُهم.

وفيها وصل رسول خوارَزْم شاه إلى العادل وهو بمرج الصُّفَّر، فبعث في الجواب الخطيبَ الدَّوْلعي والنجم خليل قاضي العسكر، فوصلا هَمَذَان، فوجدا الخوارزمي قد اندفع بين يدي الخَطَا، وقد خامر عليه عسكره، فسار إلى حَدِّ بخارى، فاجتمعا بولده جلال الدِّين، فأخبرهما بوفاة العادل، فرجعا إلى دمشق.

وحجَّ بالنَّاس من بغداد أقباش النَّاصري.

وفيها توفي

داود بن أبي الغنائم[١]

أبو سليمان المُلْهَمي، [من بني مُلْهَم][٢]، الضَّرير.

كان على رأي الأوائل، ويتستَّر بمذهب الظَّاهرية، ويسكن رباط المأمونية، وكان فاضلاً إلا أنه يُسقِّف ويهذي [[٣]من جنس ابن الرَّاوندي. قال لي يوماً: قد بلغني أنك جميل الصورة، فصيح اللسان، واشتغل بعلوم الأوائل قال: فقلتُ له: أنشدني من فصاحتك، فأنشدني لنفسه: [من الوافر]

---

(١) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٤٢٠، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٠٠-٣٠١، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) في (ح): إلّا أنه يسقف ويهذي، توفي في المحرّم، ودفن بالشونيزية، وقد جاوز سبعين سنة، ومن شعره...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

إلـى الـرحـمـن أشـكـو مـا ألاقـي غـداةَ غَـدَوا عـلـى هُـوج الـنِّـيـاقِ
نـشـدتُـكُـم بـمـنْ زمَّ الـمـطـايـا أمـرَّ بـكُـمْ أمـرّ مـن الـفِـراقِ
وهـل داءٌ أشـدُّ مـن الـتـنـائـي وهـل عـيـشٌ ألـذُّ مـن الـتـلاقـي

وكانت وفاته في المحرم، ودفن بالشونيزية، وقد جاوز سبعين سنة].

عبد الله بن الحسين[1]

أبو القاسم، عماد الدين الدَّامَغَاني، الحنفي، قاضي القضاة.

ولد في رجب سنة أربعٍ وستين وخمس مئة، وكان له سمتٌ ووَقَار، ودينٌ وعِفَّة، وتوفي في ذي القَعْدة، ودُفِنَ بالشُّونيزية.

عبد الله بن عبد الرحمن بن سُلْطان[2]

أبو طالب القرشي، القاضي شرف الدين.

ولي القضاء بدمشق نيابةً عن ابن الزكي، وكان فقيهاً فاضلاً، نَزِهاً لطيفاً عفيفاً، وتوفي في شعبان، وصُلِّيَ عليه بجامع دمشق، ودُفِنَ عند مشهد القدم.

علي بن أحمد بن روح[3]

أبو الحسن.

كان نائباً عن القضاة ببغداد، توفي في رمضان، وقد جاوز السبعين، ودُفِنَ في الشُّونيْزِيَّة، ومن شعره: [من الطويل]

وقـد كـنـتُ أشـكـوك الـحـوادثَ بُـرْهـةً وأسـتـمـرضُ الأيَّـامَ وَهْـيَ صـحـائـحُ
إلـى أن تَـغَـشَّـتْـنـي وُقِـيْـتَ حـوادثٌ تُـحـقِّـقُ أنَّ الـسَّـالـفـاتِ مـنـائـحُ

---

(١) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٤٤٨، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٠٢، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٤٣٧ـ٤٣٨، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٠١، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٤٤٣ـ٤٤٤، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٠١-٣٠٢، وفيه تتمة مصادر ترجمته، واسمه في المصادر: علي بن روح بن أحمد.

كِيْكَاووس، عِزُّ الدين، صاحب الروم[١]

كان جَبَّاراً، ظالماً، سفَّاكاً للدِّماء، ولما عاد إلى بلده من كَسْرة حلب اتَّهم أقواماً من أُمراء دولته أنهم قَصَّروا في قتال الحلبيين، فَسَلَقَ بعضَهم في القُدور، وجعل آخرين في بيتٍ وأحرقهم، فأخذه الله بغتةً؛ مات سكران فجأة، وقيل: بل ابتلي في بدنه، فتقطَّع.

وكان أخوه علاء الدِّين كَيْقُباذ محبوساً في قلعةٍ وقد أَمَرَ بقتله، فبادَرَ الأمراءُ فأخرجوه، وأقاموه في المُلْك، وكانت وفاة كِيْكَاووس في شوال، وهو الذي أطمع الفرنج في دِمْياط.

محمد بن أيوب[٢]

ابن شاذي بن مروان[٣]، أبو بكر، الملك العادل سيف الدين، وكنيته أشهرُ مِنْ اسمه.

قال المصنف رحمه الله: سأَلْتُه عن مولده، فقال: فتوح الرُّها، يعني سنة تسعٍ وثلاثين وخمس مئة. قد ذكرنا أحواله [[٤]مع أخيه صلاح الدين في إعطائه إياه مصر، ثم حلب، ثم الشرق والكرك والشوبك، وما يتعلق بذلك، وما جرى بينه وبين أولاد أخيه في ممر] السِّنين إلى أن استقرَّ له المُلْك، وامتدَّ من بلاد الكُرْج إلى هَمَذَان والجزيرة والشَّام ومِصْر والحجاز ومكَّة والمدينة إلى حَضْرموت، وكان ثَبْتاً، خليقاً بالملك، قُعْدُداً، حسن التَّدْبير، حليماً صَفُوحاً، مدبراً للممالك على الوَجْه المرضي، عادلاً، مجاهداً، دَيِّناً، عفيفاً، متصدِّقاً، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، طَهَّر جميع ولاياته من الخمور والخواطىء والقمار والمخانيث والمكوس والمظالم، وكان الحاصل من هذه الجهات بدمشق على الخصوص مئة ألف دينار، فأبطل الجميع لله تعالى، وكان واليه المبارز المعتمد قد أعانه على ذلك؛ أقام رجالاً على عِقاب قاسيون وجبل الثلج، وحوالي دمشق بالجامكية والجراية يحرمون أحداً يدخل دمشق بمنكر

---

(١) له ترجمة في «الكامل»: ١٢/ ٣٤٧-٣٥٠، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٠٨-٣٠٩، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) سلفت أخباره مفرّقة على السنين في هذا الكتاب، وله ترجمة في «المذيل على الروضتين» ١/ ٣٠٣-٣٠٧، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) الصحيح أنه لا يُعرف في نسبه جد فوق شاذي، انظر «كتاب الروضتين»: ٢/ ٢٥٠-٢٥١.

(٤) في (ح): وقد ذكرنا أحواله في السنين إلى أن...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

[فكان أهل الفساد يتحيَّلون ويجعلون زقاق الخمر في الطبول، ويدخلون بها إلى دمشق، فمنع من ذلك][١].

قال المصنِّف: بلغني أَنَّ بعضَ المغاني دخلت على العادل في عُرْس، فقال لها: أين كنتِ؟ قالت: ما قدرت آجي حتى وفيت ما عليّ للضَّامن. فقال: وأيّ ضامن؟ قالت: ضامن القيان. فقامتْ عليه القيامة، وطلب المعتمد، [وعمل به ما لا يليق][١] وقال: والله لئن عاد بلغني مثل هذا لأفعلن وأصنعنَّ.

ولقد فعل العادل في غلاء مِصْر عقيب موت العزيز ما لم يفعله غيره، كان يخرج في اللَّيل بنفسه ومعه الأموال يفرِّقها في أرباب البيوت والمساكين، [ولولاه لمات الناس كلهم][١] وكفَّن تلك الأيام من ماله ثلاث مئة ألف من الغرباء[٢].

وكان إذا مَرِضَ أو تشوَّش مزاجُه خَلَعَ جميع ما عليه وباعه حتى فرسه، وتصدَّق به، وثَبَتَ له على زكي الدِّين قاضي دمشق [لبيت المال][١] عشرين ألف دينار، وشَرَعَ القاضي يستدينها من النَّاس، فقالت له بعضُ حظاياه: رأيتُ النبيَّ ﷺ في المنام وهو يوصيك بالقاضي. فأسقطها عنه، وردَّه إلى القضاء[٣].

[وقد ذكرنا مواقفه مع أخيه وغزواته وتدبيره مع الانكتار، ولولاه ما انتظم الصُّلْح][١].

ذِكْرُ وفاته:

قد ذكرنا وصول شيخ الشيوخ إليه بخبر بُرْج دِمْياط، وأنه انزعج، [ودَقَّ بيده على صدره][١]، وأقام مريضاً إلى يوم الجُمُعة إلى سابع أو ثامن جُمادى الآخرة، فتوفي بعالقين، وكان المُعَظَّم قد كسر الفرنج على القيمون يوم الخميس خامس جمادى الآخرة، وقيل يوم الأربعاء.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) تعقبه الذهبي في «تاريخ الإسلام» بقوله: هذا خسف من لا يتقي الله فيما يقوله.

(٣) انظر القصة مفصلة في «المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٠٤-٣٠٥، وقد ذكر نحوها ابن أبي أصيبعة في «عيون الأنباء»: ٧٢٩-٧٣٠ ، وجعلها مع محيي الدين والد زكي الدين الطاهر، والصواب ما ذكره السبط وأبو شامة.

ولما توفي العادل لم يعلم بموته غير كريم الدِّين الخِلاطي، فأرسل الطَّيْرَ إلى نابُلُس إلى المعظَّم، فجاء [المعظم][(١)] يوم السبت إلى عالقين، فاحتاط على الخزائن، وصَبَّر العادل، وجعله في مِحَفَّة، وعنده خادم يروِّحُ عليه، وقد رَفَعَ طَرَفَ سِجافها، وأظهر أنَّه مريض، ودخلوا به دمشق يوم الأحد، والنَّاس يسلِّمون على الخادم، وهو يومئُ إلى ناحية العادل، ودخلوا به إلى القلعة، وكتموا موته، [ومن العجائب أنهم طلبوا له][(٢)] كفناً، فلم يقدروا عليه، فأخذوا عمامة الفقيه ابن فارس، فكفَّنوه بها، وأخرجوا قُطْناً من مِخَدَّة، فلفُّوه به، ولم يقدروا على فأس، فَسَرَقَ كريمُ الدِّين فأساً من الخندق، فحفروا له به في القلعة، وصلَّى عليه ابنُ فارس، ودفنوه في القلعة.

قال المصنف: وكنتُ قاعداً إلى جانب المعظَّم عند باب الدَّار التي فيها الإيوان، وهو واجمٌ، ولم أعلم بحاله، فلما دُفِنَ أبوه قام قائماً، وشَقَّ ثيابه، ولَطَمَ على رأسه ووَجْهه، وكان يوماً عظيماً، وعَمِلَ له العزاء ثلاثة أيام بالإيوان الشمالي، [ولما رأيت المعظم بلغ به الحال تكلمت في أول يوم، فلما انقضى العزاء عتبني المعظم، وقال: يا سبحان الله، أنت صاحب العزاء، أيش كان حاجة إلى كلامك مع ابن الحنبلي! وكان الناصح قد تكلم في ذلك اليوم، فقلت: لابد من الكلام، فقال: إذا كان ولا بد فليكن في اليوم الثالث، ولا يتكلم معك أحد. فامتثلت ما أمر،][(١)] وعمل له العزاء في الدنيا كلِّها، ونودي ببغداد: مَنْ أراد الصَّلاة على الملك العادل الغازي المجاهد في سبيل الله فليحضرْ إلى جامع القَصْر. فَحَضَرَ النَّاس، ولم يتخلَّف سوى الخليفة، وصَلُّوا عليه صلاة الغائب، وترحَّموا عليه، وتقدَّموا إلى خطباء الجوامع بأَسْرِهم، ففعلوا ذلك بعد صلاة الجمعة.

[وفوَّض إليَّ الملك المعظم تربة بدر الدين حسن في اليوم الثالث، وكتب بها منشوراً، وبعث به إليَّ][(١)].

وكان الصَّالح إسماعيل وأخوه قطب الدين أحمد بدمشق، فأمر الصَّالح، فتوجَّه إلى بُصْرى، وأحمد فتوجَّه إلى مِصْر.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) في (ح): وكتموا موته وطلبوا كفناً...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

وبقي العادل بالقلعة إلى سنة تسع عشرة وست مئة، ثم نقل إلى تُرْبته التي أنشأها عند دار العقيقي ومدرسته.

ذِكْرُ أولاده: كان له عِدَّة أولاد، منهم: شمس الدين ممدود والد الجواد [يونس][(١)]، والكامل محمد، والأشرف موسى، والمعظَّم عيسى، والأوحد أيوب، والفائز إبراهيم، وشهاب الدِّين غازي، والعزيز عثمان [شقيق المعظم][(١)]، والأمجد حسن [شقيقهما أيضاً][(١)]، والحافظ رسلان، والصَّالح إسماعيل، والمغيث محمود، ومجير الدِّين يعقوب، وتقي الدين عَبَّاس، وقُطْب الدين أحمد، والقاهر إسحاق، وخليل أصغرهم، وكان له عِدَّةُ بنات أفضلهن ضيفة خاتون صاحبة حلب أم العزيز، [وسنذكرها][(١)].

ذِكْرُ ما تجدَّد بعد وفاته:

لما دَخَلَ رجب رَدَّ المعظم المكوس والخمور، وما كان أبوه أبطله.

قال المصنف رحمه الله: فقلتُ له: قد خلفت سيف الدين غازي ابن أخي نور الدين، فإنَّه كذا فعل لما مات نور الدين. فاعتذر بقِلَّة المال والفرنج.

وسار المعظَّم إلى بانياس، وأرسل الصَّارم التِّبْنيني وهو بتِبْنين في تسليم الحصون، فأجابه، فأخرب بانياس، وسار إلى تبنين، فأخربها وهَدَمها، وكانت قُفْل البلاد [وملجأ العباد][(١)]، وأعطى بلاد شركس لأخيه العزيز، وزوَّجه بنت شركس، وبعث إليه الكامل بالخِلَع، وقال: أدركني. وجاءتِ الفرنج، فنزلوا على شِرْمَسَاح، وأخلى لهم المسلمون الخيام، فطمعوا، ثم رجع عليهم الكامل، فكسرهم، وقَتَلَ منهم خَلْقاً كثيراً، وعادوا إلى دِمْياط.

ونزل الصَّارم وولده ناصر الدين وأصحابه من الحصون، فأكرمهم المعظَّم، وخلع عليهم وأحسن إليهم، وأظهر أنه ما أخرب بانياس وتبنين إلا خوفاً من استيلاء الفرنج عليهما.

وقدم الصَّفي ابن شُكْر وزير العادل دمشق من الشرق، وكان العادل قد نقم عليه ونفاه إلى الشرق، فمضى إلى آمد، فأقام بها، فلما مات العادل كتب الكامل إليه يطلبه، فَقَدِمَ دمشق، ونَزَل بظاهرها ببيت رانس على المُؤَيَّد العقرباني، فخدمه المؤيَّد، وكان قد قَلَّ نظره، فأقام أياماً، ثم توجَّه إلى مِصْر.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

محمد بن تُكُش خوارَزْم شاه(١)

قصد العراق في أربع مئة ألف، ووصل هَمَذَان يريد بغداد، وقيل: كان معه ست مئة ألف تحت كل جتر ألف، وكان قد أفنى ملوك خراسان وما وراء النهر، وقَتَلَ صاحب سمرقند، وكان حسنَ الصُّورة، أخلى البلاد من الملوك، واستقلَّ بها، وكان ذلك سبباً لهلاكه.

ولما نزل هَمَذَان كان في عساكره سبعون ألفاً من الخطا، فكاتَبَ القُمِّيُّ عساكِرَه، ووعدَهم بالبلاد، فاتفقوا مع الخطا على قَتْله، وبعث القمي](٢) إليهم بالأموال والخيول والخِلَع سِرًّا، فكان ذلك سبباً لوَهْنه. ولما علم [خوارزم شاه](٢) بذلك سار من هَمَذان طالباً خُراسان، فنزل مرو، والتقى في طريقه الخيل والخِلَع والكُتُبَ المنفَّذة إلى الخطا، فلم يمكنه الرجوع لفساد عسكره، وكان خاله من الخطا وقد حلَّفوه أن لا يطلعه على ما دَبَّروا عليه، فجاء إليه في الليل، وكَتَبَ في يده صورةَ الحال، ووقف بإزائه، فنظر إلى السطور وفهمها، وهو يقول: خُذْ لنفسك فالسَّاعة تقتل. فقام وخَرَجَ من تحت ذيل الشُّقَّة، ومعه ولداه جلال الدِّين وآخر، فركب، وسار بهما، ولما خرج من الخيمة دَخَلَ الخطا والعساكر من بابها ظَنًّا منهم أنَّه فيها، فلم يجدوه، فنهبوا الخزائن والخيول والخيام والجواري، فيقال: إنه كان في خزائنه عشرة آلاف ألف دينار، وألفُ حِمْل قُماش أطلس وغيره، وعشرون ألف فرس وبغل، وكان له عشرة آلاف مملوك مثل الملوك، فتمزَّق الجميع ونهب، وأما خوارزم شاه فهرب إلى البحر، وركب في مركب صغير إلى جزيرة، وهرب ولده جلالُ الدِّين إلى الهند ومعه أخوه، وصَعِدَ خوارزم شاه إلى الجزيرة وبها قلعة، فتحصَّن بها، فأدركه الموت دون صعود القلعة، فدفنوه على ساحل البحر، وجاء الخطا، فدلوا عليه، فنبشوه، وقطعوا رأسه،

(١) له ترجمة في «الكامل»: ١٢/ ٣٥٨، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٢/ ١٣٩ـ١٤٣، ووفاته على الصحيح سنة (٦١٧هـ)، وقد وهم سبط ابن الجوزي في ذكره في وفيات هذه السنة، نبه على ذلك أبو شامة في «المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٢٨، وقد تابع سبط ابن الجوزي في وهمه ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة»: ٦/ ٢٢٤ـ٢٢٥.

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

وأخذوه وعادوا، وتفرقتِ الممالك بعده، وظهر التتر على الخطا بعد سنتين، وصار الخطا تبعاً لهم، وأخذوا البلاد.

نجاح بنُ عبد الله الشَّرابي[١]

نجم الدَّوْلة، مملوك الإمام النّاصر.

كان جَوَاداً، سَمْحاً، عاقلاً، دَيِّناً، كثيرَ الصَّدقات، حسنَ المحضر، مُحْسناً إلى العالم، يحبُّ المساكين، ويعظِّمُ أهل الدِّين، ويأخذ للضَّعيف من القويِّ، وكان يسمَّى سَلْمان دار الخلافة، وكان ملازماً للخليفة؛ لا يغيبُ عنه ساعةً واحدة، وكان أسمرَ اللون، جميلَ الصُّورة، فَحْلاً.

ولما توفي [في هذه السنة][٢] أمر الخليفةُ أَنْ لا يتخلَّفَ عن جنازته لا وزير ولا غيره، وصلَّى الخليفةُ عليه تحت التَّاج، وحَزِنَ عليه حُزْناً كثيراً، وأُخرج تابوتُه من باب البَدْرية، ومشى العالم بين يديه إلى جامع القَصْر، وكان بين يدي جنازته مئةُ بقرة، وألفُ شاةٍ، ومئةُ قوصرة تمر، ومئة حَمَّال على رؤوسهم الخبز، وعشرون حَمَّالاً على رؤوسهم ماء الورد، ومماليكه قد جَزُّوا شعورهم، ولبسوا المسوح، والضَّجيج والبكاء قد ملأ بغداد، [ولم يُر في الإسلام مثل ذلك اليوم][٢] وعبروا به إلى تربة أم الخليفة بالجانب الغربي، فدفن بين يدي القُبَّة التي فيها أُمُّ الخليفة، وتصدَّق عنه الخليفة من مالِ نجاح بعشرة آلاف دينار على [المشاهد][٢]: مشهد علي عليه السَّلام، ومشهد الحسين، ومشهد موسى بن جعفر، وبعث بمثلها إلى مكة والمدينة، وأعتق الخليفةُ مماليكه، وكانت له خمس مئة مجلَّدة، فأوقفها في تُرْبة أُمِّ الخليفة، وكتب عليها اسم الشرابي.

[ومن العجائب أنه توفي في هذه السنة من الملوك الأكابر: العادل والخوارزمي[٣] وصاحب الروم.

(١) له ترجمة في «الكامل»: ١٢/ ٣٥٣، و«التكملة» للمنذري: ٢/ ٤٤٠ـ٤٤١، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣٠٩، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) ذكرنا أن الخوارزمي توفي سنة (٦١٧هـ) على الصحيح.

obeikandl.com

وتوفي أيضاً ببغداد من نواب القضاء نزل بهم القضاء المحتوم: ابن الرُّطَبي المحتسب، وابن البَنْدنيجي العَدْل، وابن الغُبَيْري، والكل في شهرٍ واحد، فابن الرُّطَبي مات يوم الاثنين ثالث عشر رمضان، وابن البَنْدنيجي في رابع عشره، وابن الغبيري في خامس عشره][1].

وفيها توفي

القاهر، صاحب الموصل[2]

وترك ولداً صغيراً طفلاً اسمه محمود، فأخرج بدر الدين لؤلؤ زَنْكي أخا القاهر من المَوْصل، واستولى عليها.

السنة السادسة عشرة وست مئة

في أول المحرَّم أخرب المُعَظَّم القُدْس؛ كان قد توجَّه إلى أخيه الكامل إلى دِمْياط، وبلغه أَنَّ طائفةً من الفرنج على عَزْمِ القُدْس، فاتَّفق الأُمراء على خرابه، وقالوا: قد خلا الشَّام من العساكر، فلو أخذه الفرنج حكموا على الشَّام. وكان بالقُدْس العزيز عثمان، وعِزُّ الدِّين أيبك أستاذ الدَّار، فكتب إليهما المعظم بخرابه، فتوقَّفا، وقالا: نحن نحفظه. فكتبَ إليهما المعظم: لو أخذوه لقتلوا كلَّ مَنْ فيه، وحكموا على دمشق وبلاد الإسلام، فألجأتِ الضرورة إلى خَرَابه، فشرعوا في السُّور أَوَّل يوم من المحرَّم، ووقع في البلد ضَجَّةٌ عظيمة [مثل يوم القيامة][1]، وخرج النِّساء المخدَّرات والبنات، والشُّيوخ والعجائز، والشُّبان والصِّبْيان إلى الصَّخْرة والأقصى، فقطَّعوا شعورهم، ومزَّقوا ثيابهم بحيث امتلأتِ الصخرة ومحراب الأقصى من الشُّعور، وخرجوا هاربين، وتركوا أموالهم وأثقالهم، وما شكُّوا أَنَّ الفرنج تُصَبِّحُهُمْ، وامتلأت بهم الطُّرقات، فبعضهم إلى مِصْر، وبعضهم إلى الكَرَك، وبعضهم إلى دمشق، وكانت البنات المخدَّرات يمزقن ثيابهن، ويربطنها على أرجلهن من الحفا، ومات خَلْقٌ كثير

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «الكامل»: ١٢/ ٣٣٣، و«التكملة» للمنذري: ٢/ ٤٢٨، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٣١٠، وفيه تتمة مصادر ترجمته.